الرواية

مجلة أسبوعية للقصص والتاريخ

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصفه

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة

٣٠	في مصر والسودان
٥٠	في الممالك الأخرى
١	ثمن العدد الواحد

الإدارة

شارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

العدد الثاني — ٤ ذو الحجة سنة ١٣٥٥ — ١٥ فبراير سنة ١٩٣٧ — السنة الأولى

الحلية

La parure

للكاتب الفرنسي جي دي موباسان

بقلم احمد حسن الزيات

كانت من أولئك الفتيات الأنيقات الرشيقات اللاتي يحسبن ولادتهن في أسرة من أسر الموظفين خطأ من أخطاء القدر. لم يكن لديها صداق يحقق الزواج السعيد، ولا رجاء يضمن العيش الرغيد، ولا وسيلة تكشفها للناس فتعرف وتفهم وتحب، وتتزوج من رجل غني سري أمثل؛ فتركت قيادها للحظ فزوجها بموظف صغير من موظفي وزارة المعارف العمومية.

كانت بسيطة الهندام لأنها لم تجد زينتها، وكانت معذبة النفس لأنها لم تعايش طبقتها؛ والنساء ليس لهن طبقة ولا جنس، وإنما يقوم لهن الجمال والظرف والفتنة مقام الأصل والأسرة، فلا ترى فيهن من تفاوت ولا تمايز إلا بالرقة الفطرية، والأناقة الغريزية، والذهن المتصرف المرن، فهي التي تجعل من سواسية بنات الشعب سيدات وعقائل

كان الألم يلح عليها عنيفاً كلما شعرت بأنها خلقت للنعيم والترف، وهي إنما تعيش في هذا المسكن الحقير بين هذه الجدران العاطلة، والمقاعد الحائلة، والقماش الزري.

كانت هذه الأشياء التي لا تفطن إليها امرأة أخرى في طبقتها ترمض نفسها بالألم، وتوقد صدرها بالغضب. وكان منظر الخادمة الصغيرة البريتونية التي تقوم على تدبير بيتها المتواضع، توقظ في قلبها الحسرات اللاذعة والأحلام الحائرة. كانت تحلم بالأواوين الصامتة تدبجها الطنافس الشرقية، وتضيئها المصابيح البرنزية، وبالخادمين الفارهين في السراويل القصيرة، يرقد كلاهما في المقعد الوسيع

وكانت تحلم بالبهو الفخم بمشيه الديباج القديم ، وبالأثاث الدقيق بجملة الرياش الكريم ، وبالصالون الأنيق العطر يجمل لأحاديث السمر مع أخص الأصدقاء وأنبه الكبراء والأدباء ، ممن يشتهي النساء استقبالهم

ولما جلست إلى العشاء على المائدة المستديرة والخوان المردّد أمام زوجها ، وقد رفع غطاء الحساء وقال في وجه منبسط ولهجة راضية : « الله ! ما أطيب هذا اللحم ! إني لم أر أشهى منه ولا ألذ » كانت هي تفكر في الأعشية الناعمة الجامعة ، وفي الأدوات الفضية اللامعة ، وفي نسائج الوشي تزين الجدر بصور الأعلام البارزة في التاريخ ، والأطيار الغريبة في غابة من غاب عبقر ... كانت تفكر في الألوان الشهية تقدم في الصحاف العجيبة ، وفي الملاطفات الغزلة الهامسة تسمع في بسمة كبسمة أبي الهول ، وهي تأكل لحم السمك المورّد ، أو الدراج المسمن

لم تكن تملك زينة ولا حلية ولا شيئاً مما تتبرج به المرأة ، وهي لا تحب إلا ذلك ، ولا تظن نفسها خلقت لغير ذلك . وطالما ودت أن تكون موضع الإعجاب والغبطة ، ومنتجع العيون والأفئدة . وقد كان لها صديقة غنية من رفيقات الدراسة فكانت تكره أن تزورها ، لأن الألم الممض كان يرافقها وهي عائدة . وربما ظلت الأيام الطوال تسفح الدموع الغزار إجابة لدواعي الأسف واليأس والحزن

* * *

في ذات مساء عاد زوجها وعلى وجهه سمة الجلال ، وفي يده غلاف عريض ، فقال :

خذي : هاك شيئاً لك . ثم فض الغلاف بقوة وأخرج منه بطاقة مطبوعة كتب فيها :

« وزير المعارف العمومية وعقيلته يرجوان السيد (لوازيل) وعقيلته أن يشرفاهما بحضور الحفلة الساهرة التي ستقام في ديوان الوزارة يوم الاثنين ١٨ يناير » . ولكنها بدل أن تنبسط وتغتبط وتدهش كما كان يرجو زوجها رمت الدعوة على المائدة في غضب وسخط وهي تقول :

— ماذا تريد أن أصنع بهذه ؟

— ولكني ظننت يا عزيزتي أنك تسرين بهذا . إنك لا تخرجين أبداً ؛ وهذه فرصة جميلة ، حقاً جميلة ؛ ولقد احتملت في سبيل الحصول على هذه البطاقة ما لا تتصورين من الجهد والمشقة . كل الناس يرغبون فيها كل الرغبة ، ويسعون لها كل السعي . وهم لا يعطون الموظفين منها إلا بقدر . سترين هناك العالم الرسمي كله

فنظرت إليه نظرة الغضب ثم انفجرت قائلة :

ماذا تريد أن أضع على جسمي في هذه الحفلة ؟

لم يكن الزوج قد فكر في هذا ، ولكنه أجاب في خفوت وتمتمة :

عندك الثوب الذي تذهبين به إلى المسرح . إنه على ما أرى ملائم كل الملاءمة ...

ثم أخذه الدهش والتوى عليه الكلام حين رأى زوجه تبكي ، وأبصر دمعتين غليظتين تنحدران من زاويتي عينيها إلى زاويتي فمها ؛ وقال في تمتمة :

ماذا بك ؟ ماذا بك ؟

فتحاملت على نفسها بالجهد العنيف وأجابته بصوت هادئ وهي تمسح الدمع على خديها :

لا شيء ، غير أني لا أملك ما أتزين به ، ولذلك لا أستطيع الذهاب إلى هذه الحفلة ؛ فأعط هذه البطاقة زميلاً من زملائك تكون امرأته أحسن مني جهازاً وأتم أهبة . فابتأس الزوج وقال : انظر في الأمر يا ماتيلد ! كم تكلفنا الزينة البسيطة الملائمة التي تغنيك في مثل هذه المناسبة ؟ ففكرت بضع ثوان تحرر الحساب وتتحرى المبلغ الذي إذا طلبته لا يثير دهش الموظف الصغير ، ولا يوجب رفض الزوج المقتصد ، ثم أجابت جواب المتردد :

لا أعرف ذلك على وجه الدقة ، وأظن أربعمائة

فرنك تبلغ بي الى هذه الغاية :

اصفر وجهه قليلاً ، لأنه كان قد ادخر هذا المبلغ بتمامه ليشترى به بندقية يصطاد بها في الصيف مع بعض الأصدقاء في سهل (نانتير) . ومع ذلك قال لامرأته :

ليكن ! سأعطيك أربعمائة فرنك ؛ فاجتهدى أن يكون لك منها ثوب جميل

* * *

دنا يوم الحفل وزينة السيدة لوازيل قد هيئت ؛ ولكنها لا تزال كما يظهر حزينة مهمومة قلقة . فقال لها زوجها ذات ليلة :

ماذا يحدث ؟ إنك منذ ثلاثة أيام في حال غريبة . . .

فأجابته : إنى ليحزننى ألا تكون لى حلية . ولا أملك مما يتحلى به النساء شيئاً من معدن أو حجر ؛ وسأكون أحقر من في الحفل زياً وهيئة ، وأرى من الخير ألا أذهب إلى هذه الأمسية . فعقب على قولها بقوله :

تتحلين بالزهور الطبيعية . ذلك أجمل شيء وأطرفه في هذا الفصل . وبعشرة فرنكات تبتاعين وردتين أو ثلاثاً من أندر أنواع الورود . فلم يبرد هذا الكلام على كبدها القريحة وقالت : كلا ، فإن أشد الأشياء هواناً وضراعة أن تظهر في محضر الأغنياء بمظهر الفقراء . ولكن زوجها صاح بها قائلا : ما أشد غباءك . اذهبى إلى صديقتك السيدة فورستييه فاستعيرى منها بعض الحلى ، فإن بينكما من قديم الصداقة ووثيق العلاقة ما يتسع لمثل ذلك

فصاحت صيحة الفرح وقالت : هذا صحيح ! ومن العجب أنه لم يجر على بالى

وفي صبيحة الغد ذهبت الى صديقتها فقصت عليها ما همها وغمها ، فلم تكد تسمع شكواها حتى أسرعت الى خزانتها فأخرجت منها صندوقاً عريضاً وفتحته ، ثم قدمته الى السيدة لوازيل وهى تقول : اختارى يا عزيزتى

فوقع بصرها أول ما وقع على الأساور ، ثم على عقد من اللؤلؤ ، ثم على صليب بندقى من الذهب قد رصعته بالحجارة يد صناع . فجربت على نفسها الحلى في المرآة ، ثم أخذتها حيرة فلم تقطع العزم على ما تأخذ وما تدع ، فقالت لصديقتها : ألم يعد لديك شيء آخر ؟

فأجابتها : بلى . ابحثى . فإنى لا أعرف ماذا يعجبك

وعلى حين بغتة وجدت في علبة من الديباج

الأسود قلادة فاخرة من الماس ، فخفق قلبها خفوق الرغبة الملحة ؛ ثم تناولتها بيد مضطربة وتقلدتها على ثوبها المجهز فاذا هى على ما صورت فى الخيال ، وما قدرت فى الأمل . فسألت صديقتها فى تردد وقلق : أتستطيعين أن تعيرينى هذه القلادة ؟ لا شىء إلا هذه القلادة : فأجابتها صديقتها : نعم ولاشك . فأهوت على نحرها تقبله فى محبة وطرب ثم ولت مسرعة بهذا الكنز

* * *

أقيمت الحفلة الساهرة وبحجت السيدة لوازيل فكانت أبدع من حضرها من النساء رشاقة ولباقة وبهجة . تدفقت فى السرور متأنقة متألقة فاسترعت الأنظار وتصبت القلوب ، فتسابق الرجال وبخاصة موظفو مجلس الوزراء الى السؤال عنها والتعرف إليها والرقص معها . حتى الوزير نفسه فقد ألقى إليها باله

كانت ترقص فى نشوة من الغبطة وفورة من اللذة ، وقد امحى من ذهنها كل شىء فلم تعد تفكر إلا فى انتصار جمالها ، وفى مجد انتصارها ، وفى ظل رقيق من ظلال السعادة بسطته عليها التحيات التى قدمت إليها ، والاعجاب الذى انثال عليها ، والرغبات التى تيقظت فيها ، والفوز الكامل الذى يهج بسحره فؤاد المرأة

تركت الحفل زهاء الساعة الرابعة من الصباح ، وكان زوجها منذ منتصف الليل قد غلبه النوم فأخذ مرقده فى بهو صغير خلا من الناس هو وثلاثة من المدعوين كان نساؤهم لا يزلن يقصفن فى نشاط ومرح . فلما همت هى وهو بالانصراف ألقى على كتفيها الثياب التى أحضرها للخروج ، وهى ثياب متواضعة مبتذلة تتنافر بحقارتها مع أناقة ما تلبس من زينة المرقص . وقد شعرت هى بذلك فأرادت أن تتسلل حتى لا يلمحها النساء الأخر وهن يرتدين معاطف الفراء الفاخر . غير أن زوجها اعتاقها قائلاً : انتظرى ؛ فقد يصيبك البرد . وسأطلب عربة . ولكنها تصامت عن كلامه وانحدرت مسرعة على السلم . فلما صارا فى الشارع لم يجدا مركبة فمشيا ، وكلما أبصرا على البعد حوذياً صاحا به فلا يقف

أخذا سبيلهما إلى (السين) هابطين قانطين يقرقفان من البرد ، فوجدا بعد لأى على رصيفه مركبة عتيقة من تلك المراكب التى تسير وهى نائمة ، ثم لا ترى فى باريس إلا تحت الليل كأنها تخزى أن تظهر مباذلها فى وضح النهار . ركباها الى دارهما فى شارع (الشهداء) ودخلاها حزينين : أما هى فلأنها تتحسر على انقضاء ما كانت فيه ؛ وأما هو فلأنه يتذكر أن من واجبه أن يكون فى الوزارة الساعة العاشرة

نضت عن كتفيها ، أمام المرآة ، الثياب التى تدثرت بها حتى تنظر إلى نفسها وهى فى مجدها مرة أخيرة . ولم تكد تجيل اللحظ فى جيدها حتى صاحت صيحة منكرة : إنها لم تجد على نحرها تلك القلادة . . فأقبل عليها زوجها فى نصف ثيابه يسألها ماذا أصابها ، فالتفتت اليه هالعة تقول : أنا . . أنا . . لا أجد قلادة السيدة فورستييه !

فانتفض قائما يصيح وقد هفا قلبه من الجزع

— ماذا ؟ كيف ؟ لا يمكن أن يكون هذا !

وطفقا يبحثان فى ثنايا الثوب ، وفى طوايا المعطف ، وفى جيوب هذا وذاك ، وفى كل مكان هنا وهناك ، فلم يجداها . فقال الزوج للزوجة : أأنت على يقين من أن القلادة كانت فى عنقك ساعة تركت المرقص ؟ فأجابته : نعم ، ولقد لمستها بيدى وأنا فى دهليز الوزارة . فقال لها : ولكنك لو كنت فقدتها ونحن فى الشارع لكنا سمعنا وقعها حين سقطت ؛ فلا بد أن تكون فى المركبة . فقالت له : نعم . هذا جائز . فهل تذكر رقم المركبة ؟ فأجابها : كلا وأنت ؟ ألم تلحظيها ؟ فقالت : كلا .

فرنا إليها ورنت إليه وكلاهما لا يملك فؤاده من

الجزع . وأخيراً مضى لوازيل فلبس ثيابه وقال : سأرجع في الطريق التي قطعناها على الأقدام فلعلي أجدها . ثم خرج وترك امرأته في ثياب السهرة ، وقد تطارحت من الخور على أحد المقاعد ، لا تشتهي النوم ، ولا تطلب الدفء ، ولا تملك الفكر . ثم عاد في الساعة السابعة من غير أن يجد شيئاً . وما لبث أن ارتد إلى دائرة الشرطة يسجل المفقود ، ثم إلى إدارات الصحف يعلن المكافأة ، ثم إلى شركة العربات الصغيرة ينشد المركبة ، ثم إلى كل مكان يهديه إليه بصيص من الأمل

وكانت هي تنتظر طول النهار على حالها الأليمة من الذهول والوله . وفي المساء عاد لوازيل ساهم الوجه كاسف البال لأنه لم يكتشف شيئاً . ولما أعياه الأمر قال لزوجته : لا بد أن تكتبي إلى صديقتك تخبريها أن مشبك القلادة انكسر وأنك بسبيل أن تصلحيه . ذلك يعطينا المهلة لنتخذ تدبيراً آخر . فكتبت ما أملاه عليها

* * *

وفي آخر الأسبوع وقفت آمالها على شفا اليأس ، وأعلن لوازيل أن لا بد من وسيلة لنشتري قلادة بدل القلادة

وفي صباح الغد أخذا علبة الحلية وذهبا بها الى الجوهري الذي كتب اسمه عليها فسألاه عنها . فقال بعد أن رجع إلى سجلاته : لست أنا يا سيدتي الذي صنع القلادة ، وإنما صنعت هذه العلبة فقط . فذهبا يضطربان في سوق الجواهر ينتقلان من صائغ إلى صائغ فيسألان ويبحثان حتى وجدا آخر الأمر في دكان من دكاكين (الباليه رويال) قلادة من الماس تشبه في نظرهما القلادة المفقودة كل الشبه . .

كان ثمنها أربعين ألف فرنك ولكن الجوهري رضي أن ينزل عنها بستة وثلاثين ألفاً . فرجوا منه ألا يبيعها من أحد قبل ثلاثة أيام ؛ وشرطا عليه أن يعود هو فيشتريها منهما بأربعة وثلاثين ألف فرنك إذا هما وجدا القلادة الأولى قبل آخر فبراير

كان لوازيل يملك ثمانية عشر ألف فرنك تركها له أبوه ، فلا مناص من أن يقترض الباقي . اقترض ألفاً من هذا وخمسمائة من ذاك ، وخمس ليرات من هنا وثلاثاً من هناك ، كتب على نفسه الصكوك المحرجة ، وأخذ على ذمته العهود المخربة ، وتردد على كل مراب ، واختلف إلى كل مقرض

عرّض آخرة عمره للخطر ، وغامر بامضائه وهو لا يضمن الوفاء بما أذمّ ؛ وفي حال يرجف لها القلب فرقاً مما يتجرعه من هموم المستقبل ، وما يتوقعه من بؤس العيش ، وما يخشاه من حرمان الجسم ولوعة القلب ، ذهب يشتري القلادة الجديدة ووضع على منضدة الجوهري ستة وثلاثين ألف فرنك .

ولما أخذت السيدة فورستييه الحلية من السيدة لوازيل قالت لها في هيئة غاضبة ولهجة عاتبة : لقد كان ينبغي أن تردها قبل ذلك ، فقد كنت في حاجة إليها ثم رفعت العلبة من دون أن تفتحها ، فكفت بذلك صديقتها ما كانت تخشاه . فلقد كانت تقول لنفسها : ماذا عسى أن تظن السيدة فورستييه إذا لحظت أن القلادة غير القلادة ؟ ألا تحسبني لصة ؟

* * *

ذاقت السيدة لوازيل عيش المعوزين المر الخشن ، وحملت نصيبها من ذلك دفعة واحدة في بسالة وقوة كان لا بد من قضاء هذا الدين الفادح وستقضيه . استغنت عن الخادم ، وانتقلت من المنزل ، واستأجرت غرفة على أحد السطوح ، وزاولت الأعمال الغليظة في البيت ، وباشرت الأمور البغيضة في المطبخ ، فغسلت الأطباق ، وأتلفت أظافرها الوردية في صدأ القدور ودسم الأواني ، (وصبنت) القذر من الأبيضة والأقمصة والخرق ونشرتها على الحبل ؛ ثم هبطت الشارع في كل صباح لتصعد بالماء وتقف

عند كل طبقة تتنفس الصعداء من التعب ، ولبست لباس السوقة واختلفت إلى الفاكهاني والبدال والقصاب وعلى ذراعها السلة تساوم وتقاوم وتدفع الغبن عن كل بارة من نقودها القليلة . فإذا تصرم الشهر وجب عليها أن توفي صكا ، وتجدد صكا ، وتطلب مهلة

وكان الزوج يشتغل في المساء بتبييض الحساب لتاجر ، وفي الليل ينسخ صورا من بعض الأصول كل صفحة بربع فرنك

ودأب الزوجان على هذه الحال عشر سنين ؛ وفي نهاية هذه المدة كانا قد أديا الدين كله بسعره الفاحش وربحه المركب

وكانت السيدة لوازيل قد أخلقت جدتها وبدت في رأسها روائع الشيب . وكان من طول قيامها بشئون المنزل الفقير أن أصبحت قوية غليظة جافية . تكاد لا تراها إلا شعثاء الشعر ، حمراء اليد ، مقلوبة الثوب ، ترفع صوتها في الكلام ، وتغسل أرض الغرف بالماء الغمر ؛ ولكنك تراها في بعض أوقاتها تجلس إلى النافذة حين يجلس زوجها إلى المكتب ، فتفكر في تلك الأمسية الذاهبة ، في تلك الحفلة الساهرة التي كانت هي فيها مهوى القلوب ومراد الأعين . ما الذي كان يحدث لو أن هذه الحلية لم تفقد ؟ من يدري ؟ من يدري ؟ إن الحياة غريبة الأطوار سريعة التقلب ؛ وإن موتك أو حياتك قد يكونان رهنا بأحقر الأشياء .

* * *

وفي ذات أحد من الآحاد بينما كانت ماتيلدا ترفه عن نفسها عناء الأسبوع في رياض الشانزليزيه وقع بصرها فجأة على السيدة فورستييه ومعها طفل تنزهه وتروّضه . وكانت لا تزال رفافة البشرة رائقة الحسن فتانة الملامح ، فاعتراها لدى مرآها اضطراب وقلق . أتذهب إليها فتكلمها ؟ نعم ؛ ولم لا ؟ لقد أدت الآن كل ما عليها ، فلم لا تفضي بكل شيء إليها ؟ دنت السيدة لوازيل من صديقتها القديمة وقالت لها : نعمى صباحا يا جان !

ولكن صديقتها أنكرتها ، وأدهشها أن تسمع امرأة من عرض الطريق تحييها بهذه الألفة ، وتناديها من غير كلفة ، فقالت مغمغمة :

ولكن ... سيدتي ... لابد أن يكون هذا الأمر قد اشتبه عليك . فقالت لها : كلا ؛ أنا ماتيلد لوازيل

فصاحت السيدة صيحة الدهش وقالت : أوه ! صديقتي المسكينة ماتيلد ! لشد ما تغيرت بعدي ! فقالت : نعم ! لقد كابدت برحاء الهموم ، وعانيت بأساء العيش منذ غبت عنك ، وذلك كله بسببك

— بسببي ؟ وكيف ذلك ؟

— إنك تذكرين ولا شك تلك القلادة الماسية التي أعرتني إياها يوم حفلة الوزارة

— نعم ، وبعد ؟

— إنني أضعتها

— وكيف أضعتها وقد رددتها إلي ؟

— لقد رددت إليك قلادة أخرى تشبهها كل الشبه . وهاهي تلك عشرة أعوام قضيناها في أداء ثمنها . وليس ذلك باليسير علينا كما تعلمين ، فاليد خالية والورد ناضب والجهد قليل . وقد انتهى الأمر والحمد لله ، وأصبحت على هذه الشدة راضية مغتبطة . فقالت السيدة فورستييه في تؤدة وبطء :

— أتقولين إنك اشتريت قلادة من الماس بدل قلادتي ؟

— نعم ، ألم تلاحظي ذلك ؟ هه ؟ إنها لا تختلف عنها في شيء ، وكانت شفتاها قد افترتا عن ابتسامة تنم على الكبر والسذاجة . ولكن السيدة فورستييه أخذت يديها في يديها وقالت لها في لهجة الإشفاق والعجب :

مسكينة يا صديقتي ماتيلدا : إن قلادتي كانت كاذبة ؛ وما كان ثمنها يزيد على خمسمائة فرنك ! ...

الزيات